

دور قبائل الفولاني في الثورة المهدية بالسودان

1881-1899م

الطاهر دوباخ - طالب دكتوراه السنة الرابعة -

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله - الجزائر

taher.lioua07@gmail.com

تاريخ الإرسال: 01/04/2019؛ تاريخ القبول: 19/09/2019

The role of the Folani tribes in the Mahdia revolution in Sudan 1881-1899

Abstract: The movement of Sheikh Osman Ben Foudi is one of the most important movements in the Africa continent. Its influence is not confined to the territory of Skutu in particular and West Africa in general, but to the eastern part of the continent. The contributions of the Folani are prominent in the revolution of Mohammed Ahmed Al-Mahdi (1884-1899) and their dependence on them in the administration and the judiciary, and it reached to the point of surrendering to them, and their efforts in this revolution have culminated in one of them -Abd Allah Al- Taawashi- the position of the Mahdia Caliphate after the death of its leader.

Keywords: Mahdia revolution; Folani ;Osman Ben Foudi ;Mohammed Ahmed Al-Mahdi ;Sudan.

الملخص:

تعد حركة الشيخ عثمان بن فودي من أهم الحركات الإصلاحية في القارة الإفريقية، لأن تأثيرها لم ينحصر على إقليم سوكونو خاصة وغرب إفريقيا عامة، بل تعداه إلى الجهة الشرقية للقارة؛ إذ نجد إسهامات الفولانيين بارزة في ثورة محمد أحمد المهدي (1884-1899)، من خلال مشاركتهم في جيشه وتقلدهم رتب عسكرية مهمة، واعتماده عليهم في الإدارة والقضاء، ووصل الأمر إلى حد مصاهرته لهم، وكللت جهودهم المبذولة في هذه الثورة بتقلد أحدهم -عبد الله التعايشي- منصب الخلافة المهدية بعد وفاة زعيمها.

الكلمات المفتاحية: الثورة المهدية؛ الفولاني؛ عثمان بن فودي؛ محمد أحمد المهدي؛ السودان.

مقدمة:

إن الملاحظ لتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء خلال فترة القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، يدرك بأنها فترة ظهور الحركات الإصلاحية والدعوية بلا شك، والتي جاءت كردة فعل لتدهور الأوضاع وانتشار الوثنية واتوغل الامبريالي الأوروبي، ولعلّ من أهم الحركات الدينية الثورية هي حركة الإمام محمد أحمد المهدي التي قامت ضد فساد الأوضاع ولمواجهة الحكم التركي، لكن في الحقيقة فإن الدعوة المهدية تخطت الحدود الجغرافية لها؛ إذ بلغ صيتها كل أرجاء المعمورة (شمال ووسط وغرب إفريقيا)، وقد تزامن ظهور الدعوة المهدية مع وجود خلافة إسلامية عظيمة في غرب إفريقيا وهي خلافة سوكوتو التي أسسها الشيخ العلامة عثمان بن فودي عام 1804م، وقد كان للشيخ بن فودي دور محوري في دعوة أتباعه من قبائل الفلاتة إلى ضرورة الهجرة إلى الشرق لنصرة المهدي، ولقد كانت تأليفه في هذا الشأن بمثابة السند الشرعي الذي اعتمدته الفلاتة في تبرير هجراتهم الكبرى نحو السودان وادي النيل، وقد ثمن ذلك كل من ابنه الشيخ محمد بلو وأخوه الشيخ عبد الله ومن ثمّ أحفاده من بعده، وأصبحت الهجرة لنصرة المهدي عقيدة في أفئدة الفولانيين، وهذا ما عكس الهجرات الكبرى خلال منتصف القرن التاسع عشر إلى السودان وادي النيل ومواقفهم الداعمة للمهدي وإسهاماتهم الكبيرة في الثورة المهدية.

لذا سنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة محاور، أولاً: سنعطي لمحة تاريخية عن قبائل الفولاني (الفلاتة) في السودان الغربي، ثانياً: نتطرق بإيجاز للثورة المهدية ودعوة الإمام محمد أحمد وأهم أهدافها، ثالثاً: نسلط الضوء على إسهامات قبائل الفلاتة في الثورة المهدية من خلال وصايا توجيهات شيخهم عثمان بن فودي.

ومنه تتبادر إلى الذهن مجموعة من الأسئلة تتمثل في: ما هو أصل قبائل الفولاني؟ وإلى أي مدى نجحت الثورة المهدية في تحقيق أهدافها؟ وفيما تمثلت مساهمات قبائل الفولاني في الثورة المهدية؟ وكيف رسّخ الشيخ عثمان بن فودي فكرة المهدية في أذهان الفلاتة؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة كان لزاماً الرجوع إلى المادة العلمية من مصادر ومراجع، ومقارنة المعلومات ببعضها البعض واستقراءها وتحليلها، وكذا الرجوع إلى أهم الدراسات السابقة، والتي كان أبرزها: كتاب «الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنموية في السودان» للأستاذ الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، والذي قدم عرضاً تاريخياً حول الفولانيين وهجرتهم من غرب إفريقيا إلى شرقها ومساهماتهم الحضارية هناك، لذا سأحاول تقديم الإضافة إلى هذه الدراسة الأكاديمية.

قبائل الفولاني في السودان الغربي:

تكتب الفولاني والفلاتة والفولا وبولو وفولا وفيلافلايت.. (ناجي، ع. د.ت: 9)، ويجمع المؤرخون وأهل العلم أن أصل الفولاني عربي، فيذكر الشيخ محمد باي بالعالم من خلال زيارته لبلاد شنقيط وتحريه في موضوع أصل الفولاني حيث يقول: ((...قلت من خلال هذه الأدلة المتقدمة إن قبيلة عربية وعلمية ولقد كنت أسمع من

أوائلنا أن قبيلة فلان من حمير...) (بالعالم، م. 2004: 12)، ويرى الأستاذ علي بن أيوب ناجي وغيره من الباحثين في هذا الشأن، أن الفولاني يرجع أصلهم إلى عقبة بن نافع الفهري الذي تزوج بـ (بجو منقو) ابنة ملك غانا (برمندانا) الذي أسلم، كما تزوج المجاهدون الذين رافقوا جيش عقبة من الروميات والقبائل الإفريقية، وزوجوا بناتهم وأخواتهم إلى قبائل الروم والبربر فأنجبوا العديد من الأبناء والأحفاد وكونوا بذلك الكثير من الفروع والقبائل التي انضمت للفلاتة انضمام التزاوج (ناجي، ع. د.ت: 12).

استشهد عقبة بن نافع وكثير من المجاهدين معه، وتوفيت (بجو منقو) ﴿مريم﴾ خلفين وراءهم ذرية نشطة وحركية، ولهم عدة أقسام:

- الفلاتيون وهم أبناء عقبة من أم رومية.

- الفلاتة بنو الروم، الذين صاروا فلاتيين بسبب التزاوج والمصاهرة، ومن هؤلاء: السلفيون الذين هم من أبناء فاطمة شلفو ابنة عقبة بن نافع (الفلاتي، ط. 1994: 20).

- الفلاتة بنو العرب، وهم أبناء المجاهدين الذين رافقوا حملة عقبة بن نافع إلى إفريقيا، ويعتبرون أخلاطا من النوبة والعرب والزنج الذين تم فتح بلادهم فاختلف أولادهم بأولاد عقبة، وتكلموا بلغة الفلاتة فصاروا فلاتة.

- الفلاتة الجعفريون، وهم لفلاتة توردي انتسابا لجدهم صفية بنت جعفر بن أبي طالب (الفلاتي، ط. 1994: 20).

وقد كوّن الفولانيون علاقات مهمة مع كامل القبائل المنتشرة في بلد السودان (أنظر التعليق رقم 1) التي تبدأ من المغرب وتنتهي بالبحر

الأحمر (الفلاتي، ط. 1994: 22). ونلاحظ أن قبائل الفلاتة قد تركزت بكثافة في إقليم السودان الأوسط والغربي، وهذا ما أسهم في التفاعل الحضاري والسياسي في المنطقة مما نجم عنه ظهور العديد من الإمارات في بلاد الهوسا (أنظر التعليق رقم 2)، المنحصرة بين البرنو (أنظر التعليق رقم 3) شرقا وصنغاي (أنظر التعليق رقم 4) غربا والصحراء شمالا وغابات السافانا جنوبا، وهي المنطقة التي نجد أن الفولاني قد أقاموا دولتهم على أنقاضها في فترة لاحقة، حيث اعتبروهم وثنين مما استوجب خوض حرب جهادية ضدهم قادها الشيخ عثمان بن فودي مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي (الفيتوري، ع. 1998: 212).

وصفهم ابن بطوطة والكثير من الرحالة بأنهم قوم شبه بيض سنحتهم عربية، ويعتمدون دائما على أنفسهم ويعملون غالبا بالرعي وعلى الخصوص رعي الأبقار (ناجي، ع. د.ت: 15)، والجهاد تراث من تراثهم الذي يعتزون به، وأنهم قوم كثيرو الميل لبعضهم البعض عند الحن والشدة والحروب، وأنهم يعيشون في السودان لآلاف السنين وأنهم سارعوا الانصهار في المجتمعات التي يعيشون فيها (الفلاتي، ط. 1994: 24). نشطت الفلاتة ونشطت حركتهم الإسلامية، فهاجروا هجرات فردية وجماعية عديدة أشهرها هجرة الشيخ موسى جوكلو- الجد العاشر للشيخ عثمان بن فودي- (أنظر التعليق رقم 5) الذي استقر بين قبائل الهوسا وذلك في القرن العاشر الميلادي (الفلاتي، ط. 1994: 28).

وبذلك أصبح الفولاني هم أكبر تجمع في غرب إفريقيا، وقد عرفوا طوال التاريخ بأنهم الشعب الدعاة إلى الإسلام فقد حملوا الإسلام من موطنهم في مرتفعات فوتا جالون وفوتا تورو على سواحل المحيط

الأطلسي واتجهوا شرقا حتى بحيرة تشاد، وهم منتشرون في 18 بلدا في إفريقيا الغربية والوسطى في تجمعاتهم الكبيرة من نيجيريا والسنغال وغينيا ومالي والكاميرون والنيجر والسودان، ولديهم وراثته للتقاليد الإسلامية الجميلة انتقلت من أجدادهم الذين قاموا بنشر الإسلام في تلك المنطقة مثل عثمان دان (ابن) فوديو الذي أسس إمبراطورية إسلامية في أوائل القرن التاسع عشر بعد جهاد طويل (بالعالم، م. 2004: 135).

وقبلها أسس الفولانيون أول دولة إسلامية بقيادة محمد الورجبي الفلاتي، وذلك في القرن التاسع الميلادي، ولعبت دورا بارزا في نشر الإسلام (الفلاتي، ط. 1994: 32). ولم يقتصر الوجود الفولاني في وسط وغرب إفريقيا فقط بل يبرز ذلك بشكل جلي في السودان الشرقي، حيث انتشر الفلاتة بين دارفور والبحر الأحمر، وذلك قبل الفونج، فلما ظهر حكم الفونج قام الفلاتة بدور بارز في تعميق وترسيخ سلطنتهم، ولكن نشاطهم كان محصورا في الاستشارة والإدارة والجيش والتربية، ويظهر ذلك في الأعداد الكبيرة من علماء الفلاتة وإداريهم المنتشرين في كل أنحاء السودان عامة ومناطق الفونج خاصة (الفلاتي، ط. 1994: 34).

ومن بين إسهامات الفلاتة السياسية والحضارية - كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقا- أنهم لهم دور في تأسيس دولة برنو وذلك منذ القرن العاشر الميلادي بقيادة الشيخ محمد ماني وإخوانه من العلماء الفلاتة، كما ساهموا في تأسيس دولة مالي وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي، ودولة صنغاي في القرن الرابع عشر الميلادي، كما أسسوا دولة

الشيخ عمر الفتوي (عمر طال) خلال القرن التاسع عشر ميلادي، وكذا دولة خلافة سوكتو - كما ذكرنا سابقا- (ناجي، ع. د.ت: 55-56) وكان لهذه الدول دور كبير وعظيم في نشر الإسلام والمحافظة على كيانه.

الثورة المهدية:

وفي ظل الهيمنة للحم التركي- المصري الممتد من سنة 1821م ولغاية 1885م على السودان، اعتمدت الدولة التركية- المصرية نظاما وحشيا من الضرائب الاستغلالية، قاد إلى بروز مقاومة واسعة في شمال السودان وغربه، فكانت ثورة المهدي محمد أحمد بن عبد الله في عام 1881م (المديني، ت. 2012: 22). والتي باتت تعرف في الأدبيات السياسية الحديثة بالثورة المهدية، فمن قام بها؟ وما هي أسبابها وأهدافها؟ وهل نجحت في تحقيق أهدافها؟

ولد محمد أحمد بن عبد الله في جزيرة ألْب بدنقلا في الأسبوع الثاني من شهر أغسطس عام 1814م الموافق في رجب عام 1260هـ (بصيلي، ج. 1956: 196)، وتتكون الأسرة من أربعة أبناء هم: محمد، محمد أحمد، حامد، عبد الله، وبنت اسمها زينب، وتنتمي الأسرة إلى قبيلة الدناقلة ويعرفون بالأشراف إذ ينتمي نسبهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم (القدال، م. 1992: 37)، كما اشتهرت هذه الأسرة بصناعة المراكب (القدال، م. 1992: 38).

كان محمد أحمد يشارك إخوته صناعة المراكب، وقد عرف بينهم بحجة ذكائه وسعة فهمه وصلابة رأيه، ثم بدأ يتلقى مبادئ علوم الدين في الخلاوي التي توفرت في الخرطوم، كما درس علوم التجويد وعلوم الفقه ودرس النحو على يد الشيخ حسين المجذوب (الطيب، ل. 1956: 11)،

وأظهر الفتى ميلا حادا للعلم، كما برزت صفاته الشخصية في ذكاء وحماسة أفردته بين أقرانه، وقد أخذ الزهد والتصوف من عند الشيخ محمد الشريف نور الدائم وقد حظي محمد أحمد بمكانة مرموقة عند مشايخه. وشيّد محمد أحمد في أبا خلوة للتدريس ومسجدا، فاجتمع عليه سكان الجزيرة والقبائل المجاورة وأخذ الناس يتناقلون أخباره في الزهد والورع والتعبّد، فلم يكن للرجل أي كرامات خارقة وإنما مسلك شخصي قويم لفت إليه الأنظار وشدّها نحوه، بل وتعدّت سمعته المنطقة المحيطة به (القّدال، م. 1992: 57).

وبعد عودة المهدي من الخلاوي أخذ يدعو الناس للمهدية سرا وبإيعه على الطاعة خلق كثير من قبائل الأعراب النازلين حول جزيرة أبا (فوزي، إ. 1319هـ: 76). وقد ساعدت تلك السرية في إخفاء أمر المهدي ودعوته وهي لم تزل في مهدها ومن أجل الحفاظ على السرية واصل محمد أحمد نشاطه الصوفي العلني، فكان يدور في المدينة بعد منتصف الليل كسابق عاداته، ومعه أتباعه في لباسهم الصوفي المتميز حيث كانوا يعرفون بالدرّاويش (القشّاط، م. 1997: 167)، فالتفّ الناس حوله عند سماعهم خبر وصوله، (فكان يلقي على الجموع النصائح والإرشادات بترك الدنيا الفانية والإقبال على الآخرة ويبكي بعين واحدة، فأحبّته الخلق محبة عظيمة ولمّا تمكّن من محبتهم أظهر لهم أمر المهديّة) (القّدال، م. 1992: 79).

أصبح الآن خلف محمد أحمد نفر من المؤمنين به من الشخصيات ذات النفوذ الديني والتجاري والاجتماعي، فبدأ فوراً نشاطا مكثفا لإعلان الدعوة المهدية؛ إذ قام بإرسال العديد من المنشورات لمختلف

الجهات، ((وإلى أحبابه في الله المؤمنين بالله وبكتابه))، الذين خاطبهم قائلا: ((من العبد المغتفر إلى الله محمد المهدي...))، وكان يؤكد أن المهدي واجبة طاعته على كل مسلم، من أحبه ومن كرهه (القدال، م. 1992: 81-82). فأرسل إلى جميع الذين عاهدوه بالطاعة منشورا ختمه بخاتم نقش عليه محمد أحمد عبد الله، قال في مطلعته بعد البسملة والحمدلة، ((... جاءني النبي صلى الله عليه وسلم في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والأقطاب والخضر عليه السلام وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني على كرسيه وقال لي أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد كفر وإن الترك كفر وهم أشد الناس كفرا لأنهم يسارعون في إطفاء نور الله....)) (فوزي، إ. 1319هـ: 77).

فكان لابد أن تقع بعض تلك المنشورات في يد الحكومة وأعاونها، فبعث الحكمдар رؤوف باشا بمنشور إلى المهدي يستوضح فيه الأمر، فرد عليه محمد أحمد بأنه المهدي المنتظر، وعندما وصل رد المهدي أخذ الحكمдар يتحرك في حدود رؤية قاصرة في أمر الدعوة الجديدة، فقام بجمع العلماء يستوضحهم الأمر، فأشاروا بأن ما صدر عن الشيخ محمد أحمد كان في حالة غيبوبة وجذب رحمني من كثرة إيمانه في الزهد العبادة (القشاط، م. 1997: 83). - وأغلب الظن أن هذا الموقف أي موقف العلماء هو الذي ترك الحكمдар رؤوف باشا يتراخي في ردع دعوة محمد أحمد من البداية - فقد اكتفى بإرسال وفد من العلماء على رأسهم أبا السعود لإقناع محمد أحمد العدول عن دعوته، فأراد أبا السعود تخويف المهدي ببطش الحكومة في حالة عدم عدوله عن أمر دعوة الناس، فأجابه المهدي مخاطبا أصحابه: ((هل أنتم راضون بالموت في سبيل الله؟))

فأجابه بنعم. والتفت إلى أبي السعود قائلاً: ((قد سمعت ما أجابوا)) (الفتاوى، م. 1997: 87). عندها أدرك أبو السعود أن مهمته قد فشلت، فعاد أدراجه إلى الخرطوم ولم يبق إلا المواجهة المسلحة بين الحكومة والمهدي.

نلاحظ في الحقيقة أنه تضافرت مجموعة من الأسباب في قيام المهدي بثورته، فاستبداد وجود الحكام (فرض الضرائب، أخذ الممتلكات...) خلق نوع من الاحتقان الداخلي وغليان الجبهة الاجتماعية، وكذا حب الاستقلال، فلقد كانت هناك قبائل وبلاد ممتعة بالاستقلال فحررها الحكم المصري منه، كما حدث في سلطنة دارفور ومملكة شندي على عهد الملك نمر ومملكة أميتية (حسين، ل. 2012: 216-217)، وإذعان هؤلاء الملوك وممالكهم كان رضوخا للقوة العسكرية المنظمة.

لم يكن يجمع قبائل السودان المتنازعة إلا جامعة الدين الإسلامي، وكان المظلومون يعتقدون أن الله - سبحانه وتعالى - لا يرضى عن الظالمين وأنه لابدّ مرسل إلى الظالمين رجالاً تقيّاً مهيباً لينقذهم من ظلم الظالمين، وقد تواترت الأخبار المنقولة من بعض الكتب الدينية والمتداولة من أحاديث العامة أن هناك رجلاً عظيماً يدعى المهدي المنتظر يرسله الله - سبحانه وتعالى - في آخر الزمان لإنقاذ الأمة المحمدية والبشر كافة من الظلم، ويرشد الناس للطريق السوي ويقودهم للقضاء على الظلم ويخلصهم من الأتراك القساة (الجمال، ش. 1988: 113). ولذلك كان زعماء الثورات السودانية قبل محمد أحمد المهدي أو بعده في حاجة إلى

ادعاء المهديّة (حسين، ل. 2012: 217)، حتى يتفق ذلك مع المتواتر والمعتقد والمتنظر من ظهور المهدي في أذهان العامة من الناس.

وقد نادى المهدي بالثورة على الأتراك الذين أدخلوا ابداع والضلالات على الدين الإسلامي، وكانوا يحكمون بغير الشريعة الإسلامية واستبدوا بالأمر في مصر والسودان على السواء (Holt, P.M. 1958 : 3)، وقد ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية، وما آلت إليه الإدارة والوسائل التي أثبتت لإلغاء الرق بجدّ السيف إلى انتشار الحركة (أنظر التعليق رقم 6)، وانضمام كثيرين من المتبرمين من الأوضاع السائدة يومئذ، كما أن استخفاف الحكومة بشأن محمد أحمد المهدي في بادئ الأمر، وتحبّط الإدارة في سياستها اتجاه الحركة، والظروف التي كانت تمر بها مصر ساعدت كلها على أن تتطور الحركة وتنجح في تثبيت أقدامها في السودان، وتصديّها للقوّات النظامية وهزيمتها لهذه القوات المزوّدة بالأسلحة الحديثة (الجمال، ش. 2008: 597). كما أن المهدي استطاع أن يجذب بذكائه ودهائه وخطابته وفصاحته وفراسته أعدادا غفيرة من السودانيين المتحمسين والذين كانوا مستعدين للموت تحت رايته والفوز بالاستشهاد أو النصر (Slatin, R. 416 : 1898).

كانت المدينة حركة دينية ثورية خالصة (بشير، م. 1980: 200)، فقد انتقلت من مرتبة الدعوة إلى مرتبة العمل ودخلت في معارك حربية مع الحكومة، فلم يعد المهدي محتاجا للدعاية الدينية إلا في إطار الرد على رسائل العلماء (مالك، م. 1987: 29)، وكان يهدف أساسا من خلال ثورته إلى تخليص البلاد من جور الحكام الأجانب ولإعادة الدين

إلى ما كان عليه أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وأيام الخلفاء الراشدين (ياغي، إ. ج 2، 1993: 52)، - وقد كانت فترة المهدية قصيرة- لكن بلا شك وضعت الجذور الأولى للقومية.

لقد حقق محمد أحمد المهدي مجموعة من الانتصارات الميدانية ففي 29 أيار 1882م فتك بجملة مصرية حاولت إلقاء القبض عليه، واستفحل أمره في كردفان واستسلمت له عاصمتها الأبيض في 19 كانون الأول ديسمبر 1883م، ووقع بأسره ستة آلاف جندي، واستولى المهدي على دارفور، وأباد حملة (هيكس باشا) في 06-11-1883م، وحملة (بيكر) في 23-12-1883م، وساعده على انتصاراته أن قوات أعدائه كانت بقيادة مرتزقة أوروبيين، وأن مصر نفسها كانت خاضعة للاحتلال البريطاني (باشا، س. 1978: 164)، بالإضافة إلى حماسة أتباعه الذين كانوا يهرعون إلى القتال لكل منهم طامع في الغنيمة التي تنتظر انتصارات المؤمنين، وكانت نتيجة إعلان المهدي الجهاد أن هاجر الناس جملة وكانت هجرتهم لا مثيل لها في تاريخ السودان.

نلاحظ أن المهدي محمد أحمد أراد أن يستميل الشيخ السنوسي ليزيد قوة إلى دعوته، فدعاه ليقبل وظيفة الخليفة، لكن السنوسي احتقر دعوته وذلك لما صاحبها من عنف وسفك للدماء، فلم يستجب له ولو بالرد عليه (الجميل، ش. 1988: 111)، وكان السنوسي يرى في المهدي رجلا ذكيا لبقا في حديثه يريد أن يمد سلطته إلى أبعد ما يستطيع (: 1981 Wingate, M. 72)، وهذا ما يناقض تماما الدعوة السنوسية في بناء مجتمع على أساس مقاومة الانحرافات وتنمية موارد الدولة بالعمل،

فالشيخ السنوسي يعيب وينكر على المهدي خروجه على الحكم وسفكه لدماء المسلمين.

اعتبر المهدي نفسه في المركز الأول خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصدر التشريعات والأحكام بصفته هذه، والمركز الثاني هو مركز كبار أعوانه: الخليفة عبد الله التعايشي الذي هو خليفة أبي بكر الصديق والخليفة علي الخلو هو خليفة الفاروق عمر والخليفة محمد شريف والذي هو خليفة علي الكرار، أي الخلفاء الراشدين، وكان هؤلاء في الواقع يساعدون المهدي في الشؤون العليا للدولة والدعوة معا (أبو سليم، م. 1992: 46). وبعد فتح الخرطوم عيّن المهدي سبعة أمناء بمثابة وزراء على رأسهم عبد الله التعايشي، وعيّن في الأقاليم عمالا أمراء من بينهم عثمان دقنة في شرق السودان، ومحمد الخير في بربر وحسين بك في العباددة ومحمود عبد القادر في كردفان، وكان من مهام الأمير العامل جمع الزكاة والغنائم ووضعها في بيت المال في أم درمان (عجيل وفرح، أ.ف، ج 19-20. 1998: 96).

لقد حققت ثورة المهدي في حياته نجاحات عديدة وعلى جميع الأصعدة، وذلك يرجع أساسا لشخصية وكاريزما زعيمها محمد أحمد المهدي فقد كان فقيها تقيا نزيها وصاحب عقيدة، كسب بذلك أنصارا كثيرين، بالإضافة إلى كون السودانيون ينتظرون من القديم ظهور المهدي المنقذ (حسين، ل. 2012: 218) بمعنى وجود القابلية لفكرة المهدي المنتظر، وكذا ضعف التغطية الأمنية المصرية وذلك لشساعة مساحة السودان، وأسباب أخرى كلها ساهمت في نجاح الثورة وتوسع نطاقها الجغرافي في فترة زعامة الإمام محمد أحمد المهدي، الذي توفي بالجدري

عام 1302هـ-1885م (القشاطر، م. 1997: 168)، بعد أن أرسى دعائم الطريقة المهدية التي لا تزال في السودان حتى يوم الناس هذا. خلف عبد الله التعايشي الإمام المهدي وقد التفّ حوله قادة المهدية (شاكر، م. 1981: 38) وزكّوه في البداية، لكن ما وقع هو انخفاض الحماس الديني لدى السودانيين بعد وفاة المهدي المبكرة، كما أن القبائل التي كانت تسعى للحصول على مكاسبها والتي من أجلها ناصرت الدعوة، وجدت أن آمالها ذهبت أدراج الرياح فعملت على مقاومة المهدية والوقوف ضدها (مالك، م. 1987: 31).

مما سبق يتضح جليا أنه اجتمعت عدة أسباب أدت بفشل ذريع للثورة المهدية بعد وفاة زعيمها الروحي محمد أحمد المهدي عام 1885م، فسرعان ما نشبت خلافات حادة بين الخليفة محمد شريف وابن الحلو والخليفة عبد الله التعايشي - وهذا الأخير أظهر ضعفا فادحا في التسيير- كذلك لا نهمل عدم رضا العالم الإسلامي واستنكاره لهذه الدعوة (حسين، ل. 2012: 219)، كما كان لإعادة هيكلة وتنظيم وتسليح الجيش المصري دورا كبيرا في القضاء على الثورة المهدية، ومهما يكن من أمر فإن الخليفة عبد الله التعايشي أظهر شجاعة نادرة؛ إذ أنه قاوم جيوش الاحتلال البريطاني إلى أن استشهد في معركة أم ديكرات عام 1899م (زلفو، ع. 1973: 566-570)، والذي شهد عودة الاحتلال البريطاني بعد حكم وطني دام لأكثر من أربعة عشر عاما.

إسهامات الفولانيين في الثورة المهدية من خلال توجيهات الشيخ

عثمان بن فودي:

لقد تواترت الروايات التاريخية مع الاستفاضة، بأن عقبة بن نافع قد أوغل في بلاد السودان وفتح بلاد التكرور وغانا (البكري، ل. د.ت: 179)، ويؤكد ذلك ما ذكره أبو عبيد الله البكري من أن بني أمية قد أنفذوا جيشا في صدر الإسلام لفتح غانا، وما ذكره ابن خلدون أن سكان غانا أسلموا أول الفتح (القلقشندي، أ. ج 5، 1915: 284). فالفلاتة بعدما اعتنقوا الإسلام قد تغيرت أنظمتهم وحياتهم الاجتماعية وتقاليدهم القومية، وكان من آثار ذلك أن زالت الفوارق العرقية واللونية والطبقية بينهم وبين قبائل المنطقة ممن اعتنقوا الإسلام ومن بقوا على وثنيته، فخالطوا جميع القبائل (إبراهيم، ل. 1998: 233).

إذا لا غرابة في اعتزاز المهدي محمد أحمد بالفولانيين والزواج من قبيلتهم وإعطاء زوجته منهم من سائر زوجاته لقب: أم المؤمنين، وقوله صراحة في الفلاتة: ((... الفلاتة ردائي وإزاري شعاري ودثاري شمسي في النهار وقمري في الليالي...))، ثم جاء قول ابنه الإمام عبد الرحمان المهدي في الإشادة والاعتزاز بالفلاتة: ((... الفلاتة جنس يعتز بهم هم لنا عصب لهم بالمهدي نسب ومع الأنصار حسب...)) (بالعالم، م. 2004: 454-455) (أنظر التعليق رقم 7).

وقد كان لحركة الجهاد والإصلاح التي تبناها الشيخ عثمان بن فودي في منطقة الهوسا (شمال نيجيريا) مع مطلع القرن التاسع عشر ميلادي أثر فكري وترويجي لدعوة محمد أحمد المهدي في السودان وادي النيل، فقد بشرت تلك الحركة بقرب ظهور المهدي المنتظر وشجعت

أتباعه (Baku and Al-Hajj, S and M. 1966:427)، وكتب الشيخ عثمان وأخوه عبد الله وابنه محمد بلو بضعة مؤلفات حول هذا الموضوع.

استقر أسلاف الشيخ عثمان بن فودي من الفولانيين في شمال نيجيريا خلال منتصف القرن الخامس عشر، وفي عام 1804م أعلن الشيخ عثمان الجهاد على حاكم إمارة جوير، المقاطعة التي يعيش فيها الشيخ عثمان، وكان هدفه وإخوانه محاربة الحكم الجائر الذي تفشى في المنطقة واجتثاث الطغيان ونشر العدالة، وتطهير العقيدة الإسلامية مما لحق بها من شوائب، ونشر الإسلام بين الوثنيين، وانتظم الجهاد في باقي إمارات الهوسا السبع، وامتد إلى المناطق المجاورة، وتوج هذا الجهد بتأسيس خلافة سوكونتو عام 1831م (حسين، ي. 1995: 291).

حثّ الشيخ الناس على ظهور المهدي، وعن ضرورة اتباعه ونصرته، وألّف في ذلك تأليف عديدة، فمنها مثلاً كتاب ﴿تنبيه الأمة على قرب أشراط الساعة﴾، وأورد فيه أن بعض تلك الأشراف قد ظهر كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول: ((... مقصدنا في تنبيههم على قرب هجوم تلك الأشراف حتّهم على الاحتياط على أنفسهم بالتوبة قبل أن يحال بينهم وبين تدارك ما فرط منهم...))، وذكر الشيخ عثمان عشر شروط رابعها ما ورد في خروج المهدي (حسين، ي. 1995: 292). بالإضافة إلى العديد من المصنفات الأخرى، ككتاب ﴿الخبر الهادي إلى أمور المهدي﴾ ينحصر في بيان عشرة أمور من أموره، وكتاب ﴿المحذورات من علامات خروج المهدي﴾ ويخبر فيه بعشر شروط في أمر خروجه، وكتاب ﴿تحذير الإخوان من ادعاء المهديّة﴾ وفيه

إنكار على الذين يزعمون أن الشيخ عثمان هو المهدي وردّه على الذين ادّعوا المهدية (بن فودي، ع. 2002: 15)، ورغم نفي ابن فودي لأتباعه ادّعاءهم له بأنه (المهدي المنتظر) وأنه غير مؤهل لتلك الرسالة، فإنه لم ينكر الاعتقاد السائد آنذاك من أن ظهور المهدي وشيك الحدوث، ودعا الناس إلى تأييد دعوة المهدي (أنظر التعليق رقم 8)، وما ذكره الشيخ في كتابه ﴿نصيحة أهل الزمان﴾ دليل آخر على إيمانه بالإمام المهدي: ((... واعلموا أنه لا بد من خروج المهدي ولكن لا يخرج حتى تملأ الأرض جوراً وظلماً فيملأها قسماً وعدلاً...)) (الوائلي والجادر، ط. إ. د. ت: 25)، وقد كتب كثير من علماء الفلانة عن ظهور المهدي وعلى رأسهم الشيخ محمد بلو ابن الشيخ عثمان بن فودي (الفلاتي، ط. 1994: 32)، فقد كان هذا الأخير يؤمن بضرورة الجهاد مع المهدي مؤكداً لأتباعه في الوقت نفسه بأن الجهاد لن ينتهي إلى أن يشرع المهدي في مهمته.

رسّخ الشيخ بن فودي فكرة المهدي في أذهان الناس بغرب إفريقيا، وقد كان الفكر السائد عندهم هو الاعتقاد بظهور المهدي في مكة المكرمة (باري، ع. 2000: 311) أو في جهة من بحر النيل (السودان الشرقي)، وتروي هذه الأخبار أن ظهوره ستسببه فترة من الجفاف والحروب التي ستجتاح بلاد المغرب والجزء الغربي والأوسط من بلاد السودان، وبناء على ذلك سيهجر سكان تلك البلاد أوطانهم ويهاجرون لمقابلة المهدي ومبايعته (حسين، ي. 1995: 294). فانتشرت هذه النبوءات والأخبار انتشاراً واسعاً حتى صارت عقيدة، فأفضت إلى هجرات جماعية من خلافة سوكونو إلى الحجاز ووادي النيل.

لما خرجت فلول المهاجرين من خلافة سوكونتو متجهة نحو الشرق، كانوا يقصدون بلادا تربطهم بها صلات اجتماعية واقتصادية وثقافية، فإلى تلك البلاد خرج رواد الهجرات الفولانية الأولى منذ القرن الخامس عشر الميلادي، وتعمّدت أكثر مع مطلع القرن التاسع عشر، وهذا ما أزعج حكام سوكونتو لأن ذلك يؤدي إلى نقصان في السكان والأراضي، وكان أول الحكام تصديا لذلك أبو بكر العتيق بن الشيخ عثمان الذي أصدر مرسوما يعلن فيه أن وقت الهجرة لم يحن بعد؛ إذ أن البلاد والعباد لا يزالون ينعمون بالخير، ومن جملة ما قاله (حسين، ي. 1995: 295): ((... فباعث بالرسم، إعلامكم بأن كثير من هذه الجماعة عاصروا شيخنا الوالد لكن شغلهم الدنيا عن سؤاله عن بعض الأسرار والأمور المستقبلية التي يحلوا لهم أن يسألوا عنها... ومنهم من عاصر أخانا محمد بل (بلو) فغفل أيضا عن سؤاله... ولكن نعلمكم بشيء واحد مما أخبرنا الشيخ وهو أن جماعة الرباط الذي نصبوه هم الذين ينتقلون إلى بحر النيل وإلى بلاد الحجاز، هم بعينهم ذريتهم، وهم بقية أمراء الشيخ، وفيهم نوره وبركته، وهم يجتمعون بالإمام المهدي ويبايعونه ومعهم رايات الشيخ... ومقامهم عند الله عظيم، وأما من خرج من الرباط ورجع القهقري إلى محله الأول فلا يعد فيهم لأنه نكص على عقبيه، وكذلك من بقى من أهل القرى... فلا يصل معهم إلى بحر النيل وإلى بلاد الحجاز وإلى مبايعة المهدي بل أكثرهم يتوجهون إلى بلاد المغرب فيمكنون هناك في بلاد الكفار...)).

وعلى نفس الوتيرة نجد رسالة الأم مريم بنت الشيخ عثمان إلى أمير كانو، ((... فالقصد إعلامكم بأن الذين ينتقلون من أرض الهوسا

هذه يزعمون أن الهجرة منها قد آن ويزعمون أنهم على صواب... فإنهم قوم ضالون، ولا دليل لهم ولا مستند... وقد ذكر الشيخ الوالد أن نهاجر من أرض الهوسا ولم يعين ذلك الوقت... حتى أنه... بين لنا طريق الهجرة وذكر أربعة عشر موضعا آخرها النيل...)) (الفلاتي، ط. 1994: 39-40).

ومع أن هذه التوجيهات لم تؤدّ إلى إيقاف الهجرات المتتالية إلى الشرق، وقد استمرت طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولعل ما زاد تدفقها هو تنامي الفتن والاضطرابات في خلافة سكوتو وتوغل قوى الاستعمار (حسين، ي. 1995: 296)، وهذا ما اعتبره المترقبون لظهور المهدي علامات قرب موعد ظهور المهدي.

شارك الفلانة الإمام المهدي مشاركة فعالة ويظهر ذلك في الأدوار الرئيسية والمهام الأساسية التي قام بها زعمائهم من أجل تثبيت دعائم الإمام المهدي الإسلامية، لذلك نتعرض بإيجاز لأهم المساهمات الفولانية في الثورة المهدية.

يرجع الفضل للفولانيين أنهم أول من وقف مع المهدي وسانده، وذلك على ضوء اللقاء الذي تم بينه وبين أحد أبناء الفلانة والذي نشأ وترعرع في أحضان أخواله من التعايشة وهو الخليفة عبد الله بن محمد آدم تور الشيل الذي سيكون خليفة للإمام المهدي بعد وفاته، ويعرف فيما بعد بالخليفة عبد الله التعايشي (سعد، م. 1986: 145-146).

مصاهرة الإمام المهدي للفلانة ومنحهم العديد من الإمتيازات أعطاهم المهمة العسكرية، وذلك بإسناد أمانة الجبخانه لأمين الفتاوي، وإدارة بيت المال في المهدية التي تولاهما كل من آدم الأعيسر وحامد

الفيض كما هو مسجل أمام اسمهما في متحف الخليفة (بالعالم، م. 2004: 463-464). وسلطة القضاء التي كانت في يد علماء الفلاتة كالقاضي أحمد عمر أبو حواء والشيخ أحمد السنوسي مداني والشيخ أحمد قدح الدم... (الفلاتي، ط. 1994: 46-47). وغيرهم من المشايخ. ومن حملة رايات المهدية وأمرائها، هؤلاء الرجال من قبيلة فلاتة علما أن أسماءهم مسجلة بمتحف الخليفة عبد الله التعايشي - الموجود بمدينة أم درمان في السودان وهو تحفة أثرية تشمل على آثار وصور لحقبة من تاريخ المهدية - وكذلك في غار الإمام المهدي غرب جزيرة أبا ومن بينهم: الأمير الطيب سالم عمر، الأمير أبو الستر أبو سم، الأمير سالم الكوكاب والشيخ ود الحاج إمام والأمير أحمد شطة... (إبراهيم، ل. 1998: 247).

تأمين الإمدادات من دولة سوكونو وغرب إفريقيا والتي تولاهما الشيخ حياتو بن سعيد وهو أحد أحفاد الشيخ بن فودي، فقد أشرف على نقل جميع الإمدادات العينية والبشرية إلى السودان وادي النيل (الفلاتي، ط. 1994: 47)، رغم الظروف الصعبة والحصار الذي فرضه البريطانيون محاولة منهم للتضييق على الثورة المهدية.

قدّم الفولانيون تضحيات جسام في سبيل نجاح الثورة المهدية، واستشهد الكثير منهم في المعارك، فمن أهم هذه المعارك نجد: واقعة شيكان التي استشهد فيها جمع غفير من أبناء الفلاتة، وموقعة كرري التي سقط فيها الكثير من الفلاتة في ساحات الوغى ونذكر من الأسماء المعروفة والتي لها ثقل في الساحة السياسية آنذاك في مدينة أم درمان: الإمام أبارو الذي عثر على جثمانه وهو قابض على سيفه المحتفظ به

حتى الآن لدى أحفاده بالعباسية، وكذلك الإمام أحمد قدح العشا الملقب
بقدح الدم مؤسس أول مسجد في مدينة أم درمان في حي العباسية
(بالعالم، م. 2004: 467-468)، وفي موقعة الغار الشهيرة بجزيرة أبا
ليلة السابع من شهر رمضان 1301هـ الموافق لـ 12-08-1881م، التي
استشهد فيها اثنا عشر مجاهدا كانوا مع الإمام المهدي سبعة منهم من
الفلاتة (بالعالم، م. 2004: 465-466).

لقد عظم دور الفلاتة الوطني عندما توجوا حماسهم للثورة المهدية
والذي عرفوا به من السودان حتى غرب إفريقيا بحسبهم للخلاف الذي
كان سيعصف بوحدة السودان ويفرق شملهم بعد موت الإمام المهدي،
عندما اشتد الصراع حول لمن تؤول الخلافة من الخلفاء الأربعة، وحينها
برز الشيخ عبد الله الداداري الفلاتي وواجه الأطراف المتصارعة بقوله:
(من كان يعبد الإمام المهدي فإن الإمام المهدي قد مات، ومن كان
يعبد الله فإن الله حي لا يموت)) وأمسك بيد الخليفة عبد الله اليمنى
وأجلسه على كرسي الخلافة وألبسه جبة وطاقيّة الخلافة وتمت مبايعته
خليفة للمهدي (الفلاتي، ط. 1994: 248).

وفي الفترة ما بين 1900 إلى 1948م لعب الفلاتة أدوارا بارزة في
دفع حركة المقاومة الوطنية وتصعيدها وتنظيمها ضد المستعمر البريطاني،
ومن شواهدا على سبيل المثال وليس الحصر:

- انتفاضة عطبرة سنة 1914م بقيادة العالم أبو بكر الفلاتي قاتل
فيها الكولونيل بيل كوربييه.

- معركة قدير بقيادة العلم أحمد دمي الفلاتي عام 1915.

- حركة الفكي محمد نور عيسى الفلاتي في أم درمان، وقد تم القبض عليه بعد مقاومة عنيفة ونفي إلى واد حلفاء سنة 1916م (الفلاتي، ط. 1994: 249).

ولم تقتصر إسهامات الفلّاة في الجوانب السياسية والإدارية والعسكرية والمالية فقط، بل امتدت حتى إلى الجوانب الفكرية والدينية فقد ظهر ثلة من العلماء الربانيين سعوا إلى إرساء قواعد الوعي الديني والتمكين للعقيدة الإسلامية وتصحيح الكثير من المفاهيم المنحرفة في أذهان العامة، ومن أبرز هؤلاء العلماء: الشيخ ود أبو زمام والشيخ علي البليل والشيخ محمد الثاني (الفلاتي، ط. 1994: 252).

الخاتمة:

وما تقدم، فيخلص الدارس إلى الاستنتاجات التالية:

- أن حركة الإمام المهدي وحركة الشيخ عثمان بن فودي يشتركان في كونهما استقتا الكثير من تعاليمهما من الكتاب والسنة بالإضافة إلى التصوف وأدبياته، لذا سهل التواصل الفكري بين الفلّاة أتباع الشيخ عثمان بن فودي والإمام المهدي وأتباعه.

- كان دور الشيخ عثمان بن فودي حاسماً في الهجرات الكبرى التي قام بها الفلّاة؛ إذ جعلوا من وصاياه وآرائه في موضوع المهديّة مرجعية دينية وقانونية في تنقلهم نحو الشرق لنصرة المهدي، وهذا ما يفسر لنا تلك الهالة من التقديس التي يكتنّها الفولانيون لشيخهم حتى وضعوه في مرتبة المهدي المنتظر رغم استنكار شيخهم لذلك.

- إسهامات الفلّاة في كل مجالات الدولة المهديّة كانت واضحة وملموسة سواء في المجال العسكري أو الإداري أو السياسي أو المالي

وحتى الديني والثقافي، وخير دليل على ذلك هي تلك الآثار والصور والكتابات التي ما زالت إلى يومنا هذا في متحف الخليفة عبد الله التعايشي بمدينة أم درمان، والتي توضح الكثير من أسماء الفلانة الذين شاركوا في الثورة المهدية.

- حقق المهدي سلسلة انتصارات كبيرة على الأرض، لكن لم تستمر الوتيرة على نفس ها الرتم من الانتصارات فبوفاته عام 1885م بدأ الضعف يظهر جليا في الدولة التي أسسها بسواعد الكثير من الفلانة الصادقين، حيث أن الخلاف الذي كان بين الخلفاء وانسحاب الكثير من القبائل السودانية والتدخل الامبريالي البريطاني في السودان كلها أدت إلى إنهاك الدولة والقضاء عليها سنة 1899م.

وإذ سلط الضوء على دور الفولانيين في الثورة المهدية، لا يعني ذلك أن دورهم ومساهماتهم ستنتهي بعد قضاء التحالف المصري البريطاني على هذه الثورة عام 1899م، وإنما ستكون لهم إسهامات في مجالات أخرى تحتاج من الباحثين دراسات أكاديمية تعنى بالجانب الحضاري للفولانيين في شرق إفريقيا عموما وبسودان وادي النيل خصوصا بعد الثورة المهدية.

التعليقات والشروح:

التعليق رقم 1: مصطلح السودان يستخدم من قبل أغلب الباحثين والجغرافيين بمفهوم واسع ويقصد به المنطقة الممتدة من البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن الصحراء الكبرى شمالا إلى غابات السافانا جنوبا، ويقسم السودان إلى: السودان الشرقي: ويبدأ من البحر الأحمر إلى إقليم دارفور، السودان الأوسط: يبدأ من حوض بحيرة التشاد وما حولها إلى أرض الهوسا، والسودان الغربي: الذي يضم

كل تلك المناطق الباقية حتى المحيط الأطلسي غربا، أنظر (الاصطخري، إ. 1961: 35).

التعليق رقم 2: يرى الأستاذ مهدي آدامو من خلال ما أورده في كتاب تاريخ إفريقيا العام، أن الهوسا من أهم التكوينات والمجموعات العرقية المهمة في إفريقيا، ومؤثراتهم اللغوية كانت الأقوى مما جعل الشعوب المجاورة لهم تترك لغاتها الأساسية وتنضم إليهم، ومن الجائز هنا أن سيطرة الهوسا وتنامي قوتهم الاقتصادية جعل من لغتهم المحور الأساسي للتعامل مع التجار إلى اعتبارهم الأصل والأقوى، وهذا ربما يضعف القول بأنهم أخلاط ومجرد شعوب تجمعت حول لغة فقط، أنظر (آدامو، م. ج 4، 1988: 273).

التعليق رقم 3: البرنو هي إحدى الدول التي أنشأت حول بحيرة تشاد في السودان الأوسط من إمارات الهوسا ويبدأ عصر البرنو من أواخر القرن 8هـ/14م، وقد كان الفضل في قيام هذه الدولة للعناصر المشكلة لها من الصو والزغاوة والكانمبو والكانوريو البولالا. أنظر (طرخان، إ. 1975: 18).

التعليق رقم 4: صنغاي: قامت بعد دولة مالي وعمرت لأكثر من ستة قرون عدد حكامها نحو 50 سلطانا، عاصمتها جاو، ولها دور بارز في نشر الإسلام في السودان الغربي، ويعتبر لقب الأسكيا (الأسقيا) من أعلى المراتب فيها ومن أشهر حكامها الأسكيا محمد أبو بكر التوري من السوننك إحدى فروع الماندينجو، الذي تولى الحكم بعد سني علي، حيث توارث أبناؤه الحكم فترة طويلة إلى أن سقطت على يد المنصور الذهبي عام 1591م، أنظر (السعدي، ر. 2012: 274).

التعليق رقم 5: ينتمي الشيخ عثمان بن فودي إلى قبيلة التورودي أهم وأكبر قبائل الفلان العربية التي تتمركز وسط وغرب إفريقيا، ويعتبر الشيخ بن فودي أكبر الدعاة والمصلحين الذين ظهوروا خلال القرن 19م بالغرب الإفريقي، ويعود له الفضل في تأسيس الخلافة الإسلامية بسوكوتو. أنظر (القشاط، م. 1997: 115).

التعليق رقم 6: كان الاتجار بالرقيق في يد الأقوياء، وكان الملوك والحكام والأعيان وأرباب الأمر والعمد ورؤساء العشائر، يستخدمون الأرقاء في منازلهم وكجند لهم

فحرمان التجار من مكاسبهم والكبراء من شيء يعدونه من ضروريات حياتهم أدى إلى الغضب والانتفاض على الذين منعوا بيع الرقيق، وعدّ هذا المنع ظلماً، لأنهم شعروا بأنهم فقدوا ركناً أساسياً في بناء حياتهم. أنظر (حسين، ل. 2012: 216).

التعليق رقم 7: ويعتقد الشيخ محمد باي بالعالم بأن ما جاء على لسان المهدي محمد أحمد وابنه عبد الرحمان والسيد حسن المرغني، من اعتراف بفضل ومكانة الفولانيين في السودان وادي النيل، هو اعتراف صريح بعيداً عن المناورات السياسية أو محاولة كسب تأييدهم، حيث يقول رحمه الله: (... ووقوفني على الدور الذي قامت به قبيلة الفلاتة في نشر الإسلام وإقامة دولته وقراءة عدة كتب...، أيقنت بأن ما أرسلوم من عبارات وتلفظوا به من كلمات في شأن الفلاتة وأوصافهم وأنهم أهل صدق ووفاء وإخلاص لدين الله إنما هو حق شهادة صدق وتقرير للواقع بعيداً عن المناورات والمزايدات السياسية والتدابير الحزبية وعن تحريك العواطف كسبا لتأييد القبيلة، وأيقنت أيضاً سعة اطلاعهم على تاريخ الشعوب المجاورة للسودان ومى أثرهم في المنطقة واستعدادهم الفطري لتقبل الأفكار والمبادئ والدفاع عنها...)، أنظر (بالعالم، م. 2004: 457-458).

التعليق رقم 8: قام الأستاذ فتحي المصري والأستاذ محمد أحمد الحاج ببحث حول سبب التفاوت في حماسة الشيخ بن فودي في ذكر المهدي وفي ذكر الجهاد، فقالا: (... إنه في فترة ما بين 1795 و1808م كان الشيخ أقل تحمسا للجهاد الذي خاضه لعدم تأكده من إحراز النصر، مما دفعه إلى الاستفادة بكل الوسائل المتاحة لضمان تحقيق ذلك النصر، وعندما شعر بعدم توفر ضمانات الأمان لمستقبل الجهاد أخذ يرسخ الاعتقاد في حتمية قرب قيام الساعة وانتهاء العالم...)، ومن ناحية أخرى يصرح الأستاذ محمد أحمد الحاج بأن مصنفات الشيخ عثمان في فترة ما قبل سقوط مدينة (الكاو) التي كانت معقل أعدائه، كانت تؤكد تمسكه بالأحاديث الدالة على التعجيل بظهور المهدي واقتراب قيام الساعة، بينما نجد أن مؤلفاته لفترة ما بعد سقوط تلك المدينة قد أشارت إلى الابتعاد عن محاولات تحديد وقت قيام تلك الساعة، وذلك نظراً لاعتزاله الحياة المترفة واللجوء إلى التصوف والارتقاء، عبر

الاهتمام بالتثقيف الذي تشبث به الشيخ وربطه بالنجاحات التي أحرزتها حركته للجهاد. أنظر (باري، ع. 2000: 307-308).

* المراجع:

- إبراهيم، عبد الله عبد الماجد. (1998). الغزابة-الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية-، د.م: دار الحاوي.
- آدامو، مهدي. (1988). الهوسا وجيرانهم بالسودان الأوسط. في كتاب اليونسكو، تاريخ إفريقيا العام، ج2، باريس: اليونسكو. ص.ص 273-303.
- الاصطخري، إبراهيم بن محمد. (1961). المسالك والممالك، تحقيق محمد صابر، القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- باري، عثمان برايم. (2000). جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، القاهرة: دار الأمين.
- باشا، سلاطين. (1978). السيف والنار في السودان، أم درمان: عالم الكتب.
- بالعالم، محمد باي. (2004). قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، أدرار: د.د.ن.
- بشير، محمد عمر. (1980). تاريخ الحركة الوطنية في السودان (1900-1969م)، الخرطوم: الدراسات السودانية للكتب.
- بصيلي، عبد الجليل الشاطر. (1956). معالم تاريخ وادي النيل من القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر، القاهرة: مكتبة العرب.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز. (د.ت). المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب، تحقيق أدريان فان لوفن وأندري فييري، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- الجمل، شوقي عطا الله. (1988). الأزهر ودوره السياسي والحضاري في إفريقيا، الإسكندرية: مركز الوثائق للنشر والتوزيع.
- الجمل، شوقي عطا الله. (2008). تاريخ السودان وادي النيل، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

- حسين، عبد الله. (2012). السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، القاهرة: مؤسسة هندراوي للتعليم والثقافة.
- حسين، يوسف فضل. (1995). أثر حركة الشيخ عثمان دان فوديو على دعوة المهدية في السودان وادي النيل و ورقة عمل مقدمة إلى الندوة العالمية للاحتفاء بالشيخ المجاهد عثمان دان فوديو، جامعة إفريقيا العالمية بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، 19-21 نوفمبر 1995م.
- زلفو، عصمت. (1973). كرري- تحليل عسكري لمعركة أم درمان-، أم درمان: المطبعة العسكرية.
- سعد، مصطفى محمد. (1986). الإسلام وحركة الفلان الإصلاحية في غرب إفريقيا. مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، د.ع، ص 132-154.
- السعدي، عبد الرحمن. (2012). تاريخ السودان، تحقيق حماد الله ولد السالم، بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو سليم، محمد إبراهيم. (1992). بحوث في تاريخ السودان، بيروت: دار الجليل.
- شاكر، محمود. (1981). السودان، ط2، دمشق: المكتب الإسلامي.
- طرخان، إبراهيم علي. (1975). إمبراطورية البرنو الإسلامية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الطيب، عبد الله. (1956). الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان، القاهرة: د.د.ن.
- عجيل وفرح، أمل. دعاء. (1998). قصة وتاريخ الحضارات العربية، بيروت: Editio Creps international.
- الفلاتي، الطيب عبد الرحيم محمد. (1994). الفلاتة في إفريقيا ومساهماتهم الإسلامية والتنموية في السودان، الكويت: دار الكتاب الحديث.
- بن فودي، عثمان. (2002). سوق الأمة إلى اتباع السنة، تحقيق أبو ألفا عمر محمد شريف بن فريد بروكس، د.م: المعهد الدولي سنكري.

- فوزي باشا، إبراهيم. (1319هـ). السودان بين يدي غردونوكشنر، د.م.د.د.ن.
- الفيتوري، عطية خزوم. (1998). دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.
- القذال، محمد سعيد. (1992). الإمام المهدي محمد أحمد بن عبد الله 1844-1885م، بيروت: دار الجليل.
- القشاط، محمد سعيد. (1997). أعلام من الصحراء، بيروت: دار الملتقى.
- القلقشندي، أحمد بن علي. (1915). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد حكم شمس الدين، القاهرة: المطبعة الأميرية.
- مالك، محمد محبوب. (1987). المقاومة الداخلية لحركة المهدية (1881-1898م)، بيروت: دار الجليل.
- المدني، توفيق. (2012). تاريخ الصراعات السياسية في السودان والصومال، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية.
- ناجي، علي بن أيوب. (د.ت). لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، الكويت: دار الكتاب الحديث.
- الوائلي والجادر، طاهر يوسف. إلهام محمد. (د.ت). الإمبراطورية الفولانية الإسلامية وتصديها للاحتلال البريطاني في غرب إفريقيا، الكوفة: منشورات جامعة الكوفة.
- ياغي، إسماعيل أحمد. (1993). تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر، الرياض: دار المريخ.

- Baku and Al-Hajj, S-Bio and M.M. (1966). The SoudansMahdia and the Niger region in islam in tropical. London: I-M. lew. ed. OUP.

- Holt, P.M. (1958). The Mahdiste state in the Sudan (1881-1899). Oxford: Oxford universitypress.

- Slatin, R. Pacha. (1898). FeretFeu au Sudan, traduction de G. Bettex. Paris: Marnes Flammarion.

- Wingate, Major. F-R. (1981). Mahdisme and Egyptien Soudan. London: Macmillan and CO and New York.

للإحالة على هذا المقال:

- دويباخ الطاهر، (2019)، «دور قبائل الفولاني في الثورة المهدية بالسودان 1881-1899م». المواقف، المجلد: 15، العدد: 02، ديسمبر 2019، ص.ص 174 - 202.